





























﴿...من بوادي الحجاز ونجد وقمامة﴾<sup>22</sup>. فسمع الخليل-- ورجال مدرسة البصرة كذلك-- الأعراب والشعراء والخطباء والفصحاء، ثم جمعوا ما سمعوا عنهم ودرسوه وصنفوه حتى أن مدرسة البصرة استنتجت أن الكلام انقسم إلى قسمين وهما: فصيح<sup>23</sup> وأفصح.<sup>24</sup>

وكان السماع أصل من أصول القواعد النحوية حيث اعتمد رواد مدرسة البصرة عليه وعلى التعليل والقياس. والسماع عند الخليل يعني نبعين كبيرين نبع النقل عن القراء للذكر الحكيم وكان الخليل نفسه من قرائه وحماته، ونبع الأخذ عن أفواه العرب الخُص الذين يوثق بفصاحتهم.<sup>25</sup>

وكان كلام العرب المحتج به أساسا في وضع القواعد النحوية، فلا يضع تلميذ الخليل سيبويه قاعدة نحوية أو حكما نحويا إلا يروي معهما سيلا من كلام العرب وأمثالهم وأبياتهم. وكان الخليل لا يلقي أي حكم نحوي إلا يلقي معه برهان من كلام العرب الموثوق به وأشعارهم؛ لأن الشواهد مدار القاعدة النحوية.<sup>26</sup> وكذلك، يجري سيبويه وابن أبي إسحاق وعيسى بن عمر في السماع. ونقلوا عن القراء والعرب الذين يوثق بفصاحتهم.<sup>27</sup>

<sup>22</sup> ابن يوسف القفطي، إنباه الرواة...، الجزء الثاني، 258.

<sup>23</sup> المراد بالكلام الفصيح منه ما هو شائع كثير ومنه ما هو ظواهره قليلة إذا قيس إلى الأصل والمسموع في اللغات نفسها. غير أن مدرسة البصرة قسم الكلام إلى: كلام أصلي وغير أصلي. والكلام الأصلي هو مكان استخدامه العرب شائعا لديهم حتى يمكن أن يقاس عليه. ومن هنا ظهر القياس في النحو بعد أن كان القياس منهاجا دراسيا في الفقه فقط. انظر أحمد نجيب أفندي في كتابه

*Madrasah Nahwu Basrah & Kufah*, 42.

<sup>24</sup> نفسه، ص. 42. وانظر أيضا، الحديثي، المدارس النحوية، ص. 75. وانظر أيضا، شوقي ضيف، المدارس النحوية، 46--47.

<sup>25</sup> شوقي ضيف، المدارس النحوية، 46.

<sup>26</sup> نفسه، 47.

<sup>27</sup> نفسه، 80.



ولا ينحصر اعتماد أبي عمرو على وعي للواقع اللغوي فحسب، بل على وعي بالفروق اللغوية وتفاوتها في مناطق الجزيرة. وقرب استقراءه من الكمال:-

وفي بعض أخباره نحس أن استقراءه للغة قريب من الكمال، إن لم يكن كاملاً. قال يونس: ﴿كان أبو عمر يقول في واحد (الهدّي) هُدْيَة، تقديرها: جدية السرج، والجمع الجدي، مخفف. قال أبو عمرو: ولأعلم حرفاً يشبهه﴾. وسواء استدركوا عليه مثال (جدية) أم لم يستدركوا فإن استقراء أبي عمرو فتح أبواباً واسعة أمام تلامذته وخالفه. <sup>32</sup>﴿

### 3- المنهج القياسي The Analogy Method

إن القياس الذي وضعه أبو الأسود ثم جرّده عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي أصل من أصول الدراسة النحوية التي تبنى عليها القواعد ويزان بها الكلام. وقال الأنباري: ﴿اعلم أن إنكار القياس في النحو لا يتحقق، لأن النحو كله قياس، فمن أنكر القياس فقد أنكر النحو ولا يعلم أحد من العلماء أنكره﴾. <sup>33</sup> وقد أهدى النحاة بالقياس كثيراً من الاستعمالات التي كان ينطق

<sup>32</sup> لخلوان، الفصل في تاريخ النحو...، 188-189.

<sup>33</sup> الأنباري، في أحمد أمين، ضحى الإسلام، الجزء الثاني، 299—300.



بها العرب في نظير وضع قواعد النحو الكلية. واحترموها احتراماً شديداً وخضع الناس لها.<sup>34</sup>

ومن البديهي أن قياس الحضرمي قياس الفطرة والطبيعية، وليس بقياس المنطق والجدل. ولم يتأثر بمنطق أرسطو؛ لأن العرب لم يعرفوه إذ ذاك، وتوفي الحضرمي سنة 117 هـ قبل أن يعرف العرب منطق أرسطو.<sup>35</sup> وجاء عهد أبي عمر ابن العلا اتخذ القياس شكل القياس الفقهي أو الكلامي. و لكن قال المخزومي إن القياس ظهر في عهد عيسى بن عمر الثقفي وعبد الله ابن أبي إسحاق الحضرمي. وكان أبو إسحاق الحضرمي أشد قياساً من غيره. وكان القياس أداة لصنع [قواعد] النحو، وأصلاً من أصوله.

ثم نمت بذور القياس على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه المتميز سيويه، وأكثر القياس وتوسّع فيه حتى وصل القياس إلى كمال النضج عندهما وقد اتضح ذلك في كتاب سيويه. صحيح، يستطيع لقراء كتاب سيويه أن يجد في أمثلة كثيرة للأقيسة المختلفة المتعددة، وكان الإمام الخليل غير نظرية القياس القديم بنظريته الجديد، وذلك باعتداد القياس بأحكام العقل، وانتهاج الخليل منهج مدرسة الكلامية، وإن لم يصطبغ بالصبغة الفلسفية. ومع ذلك، كان ظهوره والاستفادة منه إذانا بدخول الدراسة اللغوية في عهد جديد.<sup>36</sup> وعندئذ، يكون الخليل أهم أعلام مدرسة البصرة

<sup>34</sup> نفسه، الجزء الثاني، 300.

<sup>35</sup> مكرم، المدارس النحوية...، 254—255.

<sup>36</sup> المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في اللغة والنحو، (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، الطبعة الثانية، 1958)، 46—47.





وأصبح التأويل أسلوباً منهجياً في دراسة ظواهر اللغة عند الخليل، ويرجع في أساسه إلى الرواية اللغوية العامة عند نحاة العرب.

## 5- المنهج التعليلي The Explanatory Method

واتضح أن المنهج التعليلي the explanatory method دعامة المنهج القياسي the analogy method. ونشأة القياس أول ما نشأ فطرياً وتبعته نشأة العلة له كذلك. وأما أول من علل النحو فهو الحضرمي-<sup>43</sup> واستقرت وأتت أكلها على يد الخليل وسيبويه. واعتمد الخليل كل الاعتماد على التعليل حينما وضع القواعد النحوية التي سجلها تلميذه سيبويه في الكتاب الشهير بكتاب سيبويه بعده. وإذا، وجدنا الكثير من التعليقات النحوية في كتاب سيبويه، ويمكن أن يقال أن كتاب سيبويه كتاب علل، وجميع العلل التي أوردتها النحاة بعده كان مصدرها الأول كتاب سيبويه. وعلى أية حال، أن مدرسة البصرة اعتمدت في تأصيلها لقواعد النحو وإقامة بنائها على منهجي السماع والقياس ولكن منهج مدرسة البصرة لا ينحصر عليهما فقط، بل اعتمدت أيضاً على التعليل النحوي. وكان استخدام هذا المنهج في دراسة النحو العربي متأثراً بمنهج الفقه الإسلامي—ولاسيما عند حماد بن سليمان—الذي سبق نشأته بالنسبة على

<sup>43</sup> أبو البركات عبد الرحمن بن أبي الوفاء محمد بن أبي سعيد الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، (الزرقاء: مكتبة المنار، الطبعة الثالثة، 1985)، 27.





